

النقد وتصنيف النص الروائي.. مقارنة نظرية ونموذج تطبيقي

د. فايد محمد/ المركز الجامعي تيسمسيلت _ الجزائر

الكلمات المفتاحية: النقد الروائي _ تصنيف النص الروائي _ الجنس الأدبي _ أجناسية الرواية _ الرواية الجزائرية _ النقد الروائي الجزائري
ملخص المداخلة:

تهدف من خلال هذه المداخلة الى تعريف التصنيف الروائي، نقصد هاهنا طرائق تحديد الاتجاهات الروائية وبعبارة أدق تحديد الأنواع/الأصناف الروائية الفرعية، التي تستظل تحت مسمى الرواية باعتبارها جنساً أدبياً له تاريخه، وله مقوماته التي لم تُضبط نهائياً بعد، لأنّ الرواية وكما هو شائع في فكر باختين Bakhtine، جنس أدبي غير منته. وقبل الحديث عن طرائق تصنيف الرواية إلى اتجاهات، لا ضير من التأكيد على أنّ التصنيف في دلالاته البسيطة، فعل وثيق الصلة بالحياة الإنسانية، فالإنسان يمارس التصنيف مُذْ وُجد على ظهر البسيطة، ألا تلاحظ أننا نُصنّف عن قصد، ومن دونه كلّ ما يحيط بنا، مهما كانت طبيعته، ملموساً كان أم محسوساً، فنقول مثلاً عن المشاعر أنّها تنقسم إلى مشاعر حزن، ومشاعر فرح وحب، وكُره ... وهلم جرّاً

Résumé

Nous visons à travers cette intervention à la définition de la catégorie romancier, il est destiné aux présentes méthodes de détermination des tendances de romancier et de déterminer plus précisément les types/ variétés en vedette sous, qui abritait sous le nom du roman en tant que genre littéraire a son histoire, avec ses composants qui ne sont pas définies de la finale encore, parce que le roman comme cela est courant avec Bakhtine. Le genre littéraire est obsolète. Avant de parler des modalités du roman aux tendances de notation, aucun mal à mettre l'accent sur l'importance que la classification tout simplement est étroitement liée à la vie humaine faisant, l'homme a pratiqué note a depuis trouvé le fond de la statistique, Ne pas remarquer que nous classons que par inadvertance, et sans tout ce qui nous entoure, quelle que soit sa nature, est un concrète ou tangible, nous disons, par exemple, une émotion qu'il est divisé en des sentiments de tristesse, les sentiments de joie, d'amour et de haine ..ect.

La pratique de classification intéressé par l'humain, et développé à travers l'histoire, a pris soin de l'être humain depuis l'ancienne classification des connaissances. Les philosophes et est considéré comme un élément essentiel, Nous ne sommes pas ici concernant le traitement de la Catégorie sens primitif (respectivement, de pavage, indexation), nous voulons dire que la classification, qui est le soi-disant Thomas Kent la critique de type.

Veux dire la Recherche des mécanismes adoptés dans la classification de texte romancier. Et nous espérons que grâce à ce travail à engager dans le côté pratique des modèles algériens. qui ont essayé de classer le texte romancier algérien.

يتعيّن هذا البحث تعريف التصنيف الروائي، نقصد هاهنا طرائق تحديد الاتجاهات الروائية وبعبارة أدق تحديد الأنواع/الأصناف الروائية الفرعية، التي تستظل تحت مسمى الرواية باعتبارها جنساً أدبياً له تاريخه، وله مقوماته التي لم تُضبط نهائياً بعد، لأنّ الرواية وكما هو شائع في فكر باختين Bakhtine، جنس أدبي غير منته¹.

¹ ينظر: ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، رؤية للنشر والتوزيع-القاهرة، ط1، 2009، ص 08.

وقبل الحديث عن طرائق تصنيف الرواية إلى اتجاهات، لا ضير من التأكيد على أنّ التصنيف في دلالته البسيطة، فعل وثيق الصلة بالحياة الإنسانية، فالإنسان يمارس التصنيف منذ وجد على ظهر البسيطة، ألا تلاحظ أننا نُصنّف عن قصد، ومن دونه كلّ ما يحيط بنا، مهما كانت طبيعته، ملموسا كان أم محسوسا، فنقول مثلا عن المشاعر أنّها تنقسم إلى مشاعر حزن، ومشاعر فرح وحب، وكُره ... وهلم جرا.

1. التصنيف .. المصطلح والدلالة :

التصنيف ممارسة اهتمّ بها الإنسان، وطوّرها على مرّ التاريخ، لقد "اهتمّ الإنسان منذ القدم بتصنيف المعرفة، وبذل الفلاسفة المفكّرون جهوداً لوضع نُظم لهذا التصنيف"² والحقّ أنّ تصنيف المعرفة ومحاولة اجترار نظام يحكّم مختلف ألوانها، يقوم على افتراضات أربعة أساسية هي³ :

- افتراض وجود نظام طبيعي عالمي، من شأنه إنّ اكتشف أنّ يُبيّن الإطار العام الذي يحكّم المعرفة الإنسانية بجميع فروعها ومكوّناتها، ولعلّ ذلك ما يميّز جهود الرواد (أفلاطون، أرسطو...).
- يميّز ذلك النظام ببناء تنازلي، بحيث يتمّ الانتقال من الجنس إلى النوع، ثمّ القسم، أي من الأعلى إلى الأسفل، أو من العام إلى الخاص.

- يتأسّس على تلمّس درجات التشابه والاختلاف في الوحدات أو العينات التي يتكوّن منها مجال التصنيف.
 - تدخّل الصفات والخواص المميّزة لتلك العينات، ضمن الوحدة التصنيفية المشتغل عليها وتُعتبر جزءا جوهريا، ومكوّنا أساسيا فيها، بحيث لا تتغيّر تلك الصفات لأنّها دائمة وبعيدة عن كلّ اعتبار مؤقت أو عرضي.
- غير أنّنا نتحقّق على الافتراض الرابع، لأنّه لا ينطبق على كلّ ألوان المعرفة، فهو وإن أثبت نجاعته في مجال العلوم الدقيقة، فإنّه من المستحيل التعامل به -إلا في حدود ضيقة- في مجال العلوم الإنسانية، التي تبني أساسا على النسبية والحركية والتغيّر الدائم، وفي مجال الإبداع الروائي مثلا لا يصحّ البتة القول إنّ نوعا روائيا معيّن، تتواتر في كلّ نصوصه مميّزات بعينها، وأنّ تلك المميّزات تشكل من تفاصيل دقيقة، تتوفّر عليها كلّ النصوص المصنّفة ضمن هذا النوع أو ذاك، فالرواية التاريخية **Roman historique** على سبيل المثال تختلف في بنائها ودلالاتها، وفي مدى استثمارها للنصوص التاريخية، كما تختلف في الغاية المرجوة من ذلك الاستثمار، وفي الدافع الذي يحرك صاحبها، وفي النسغ الذي يُغذيّ منها الحكائي.

لسنا هنا بصدد معالجة التصنيف بمفهومه البدائي (الترتيب، الرّصف، الفهرسة)، إنّ التصنيف الذي نقصده هو ما يُطلق عليه توماس كُنت Thomas Kent نقد النوع⁴.

² برجس عزام، مدخل إلى علم التصنيف في المكتبات، مطابع الصباح، ط1، 1985، ص 14.

³ ينظر : المرجع السابق، ص 15/14.

⁴ ينظر : دراسة المهمة : تصنيف الأنواع، ضمن : مجموعة من المؤلفين، القصة الرواية، المؤلف، ترجمة وتقديم خيرى دومة، مراجعة : سيد البحراوي، دار شرقيات للنشر والتوزيع -القاهرة، ط1، 1997، ص. ص 73/55.

ولكن وقبل الخوض في ذلك، نقترح العودة إلى الجذر اللغوي لمفردة التّصنيف في معجم لسان العرب، حيث جاء في هذا الأخير في مادة (ص، ن، ف) : صنف، الصّنف : النوع والضّرب من كلّ شيء، والجمع أصناف وصنوف. والتّصنيف : تمييز الأشياء بعضها من بعض، وصنّف الشيء : جعله أصنافاً⁵.

يلاحظ الباحث في هذا الباب أنّ الدّلالة المعجمية للتّصنيف تكاد تغطي على دلالاته الاصطلاحية الشائعة اليوم، ففي مجال علم المكتبات، وهو حقل يمارس المهتمّون به التّصنيف بمعنى الرصف والترتيب والفهرسة، تكاد كلّ التعاريف تُجمع على أنّ التّصنيف يعني عملية الفرز والغزلة التي تهدف إلى ترتيب الأشياء، والوحدات والمجموعات ضمن أقسام وأصناف، بعد رصد الخصائص المشكّلة للصنف الواحد استناداً إلى معايير متعارف عليها، تُسهّل العملية وتضبطها وتُضفي عليها طابع العلمية، ولعلّ التعاريف الآتية تؤكّد ذلك:

- التّصنيف "هو العملية التي تُقسّم بها أيّة مجموعة من المواد إلى مجموعات فرعية، بحيث تتكوّن كلّ مجموعة من وحدات ذات صفات أو خصائص متجانسة تجعلها نوعاً محدداً..."⁶.
 - التّصنيف "هو تقسيم المعرفة إلى أبواب وفصول وفروع وأنواع وأجناس، في محاولة لبيان العلاقة التي تربط كلّ منها بالآخر موضحاً مكان كلّ علم بالنسبة للعلوم الأخرى، كلبنة في بناء المعرفة ككلّ، ونعني بكلّ ذلك ترتيب العلوم في مجموعات متميّزة، وفي تسلسل ووفقاً لنظام معيّن..."⁷.
 - التّصنيف "هو الترتيب أو التقسيم المنظّم لأيّة مجموعة من الأشياء، ووضعها في عدد من الفئات، وضّمّها إلى بعض نظراً لما بينها من ترابط أو صفات مشتركة"⁸.
- هذه التعريفات ورغم أنّها مستقاة من مراجع مختلفة، تکرّر لازمة واحدة وهي ضرورة أن تتحد المجموعات المصنّفة في خصائص معيّنة تجمعها، وهو الأمر الذي ثلّفيه في الكثير من الدراسات والمعاجم الأدبية والنقدية المتخصّصة، خاصة المهتمّة بالإبداع الرّوائي.

يقترح سعيد علوش في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ثلاثة مصطلحات متقاربة في الدلالة هي : التّصنيف compilation، التّصنيفية taxonomie والنمطولوجية typologie،⁹ فكّلها تشترك -في اعتقاده- في سعيها إلى استخلاص نظام معيّن من خلال ملاحظة جملة التّقاطعات الموجودة بين مجموعات محدّدة من المواضيع أو الأفكار أو الأشياء، أمّا لطيف زيتوني صاحب معجم مصطلحات نقد الرّواية، فيركّز على تصنيف النص الرّوائي ويؤكد أنّ قدرة "الرّواية على استخدام كلّ أساليب الخطاب وأنواعه، وعلى قبول اللهجات الشائعة في زمن حكايتها"¹⁰ جعلتها جنساً أدبياً يصعب تحديد بنيته

⁵ ينظر : ابن منظور، لسان العرب، دار صادر -لبنان، ط1، باب الصاد، مادة (ص ن ف)، ص 293.

⁶ أبو الفتوح حامد عودة، المدخل إلى علوم المكتبات، دار الثقافة العلمية الإسكندرية، مصر، د.ط، 2001، ص 89.

⁷ برجس عزام، مدخل إلى علم التّصنيف في المكتبات، ص 64.

⁸ عبد اللطيف صوفي، مدخل إلى علم البيبليوغرافيا والأعمال البيبليوغرافية، دار الميرخ للنشر - المملكة العربية السعودية، د ط، 1995، ص 141.

⁹ ينظر : سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب العربي -لبنان، وسوش برس - الدار البيضاء المغرب، ط1، 1985، ص 135، ص 222.

¹⁰ لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرّواية، مكتبة لبنان ناشرون -لبنان، ط1، 2002، ص 56.

الشكلية والدلالية، ما أدى إلى تعدّد واختلاف محاولات تصنيفها، وعليه فإنّ تصنيف النصوص الأدبية هو البحث في الملامح المشتركة بين مجموعة من النصوص، وقد تكون تلك الملامح المشتركة شكلية أو مضمونية¹¹، أو شكلية مضمونية في الوقت نفسه. أي إنّه "نشاط نظري تحليلي عماده تبويب النصوص الفردية، وتجميعها في أجناس محدّدة بناءً على السمات المميّزة لها، وانطلاقاً من مُصَادَرَة أولية تُقرّر بأنّ الأدب ليس ركاباً من النصوص المفردة، بل هو مجموعة ما بينها من علاقات"¹²، هذه العلاقات وتلك السمات هي ما يُطْلَق عليه تودوروف (المبدأ الفاعل)¹³، أي المهيمنات المتعدّدة بتعدّد المنطلق التصنيفي، والتي من خلالها نستطيع تصنيف جملة من النصوص ضمن جنس أدبي Genre littéraire معيّن، أو ضمن نوع أو نوع فرعي.

إنّنا وبُغية رفع اللبس عن الترتيب الذي استخدمناه هنا (جنس، نوع، نوع فرعي) نصرّح أنّنا سنتبعه طيلة المحطات المقبلة من البحث لغاية تعليمية تبسيطية تُجَنِّب القارئ ما لمسناه من اختلاف على الأقل في المراجع التي حصلنا عليها فبعضها يستخدم التقسيم الآتي (جنس Genre، جنس فرعي Sous-genre)، وبعضها يقول بالنوع والنوع الفرعي، في حين تُستخدم دراسات أخرى (صنف، أصناف)، (نمط، أنماط)، والحق أنّ هذه الاختلافات تنشأ أساساً عن الترجمة المتعدّدة للمصطلحات المتقاربة، كما قد يكون من أسبابها أنّ كلّ حقول المعرفة الإنسانية يفهم المشتغلون في فضائها التصنيف وفق ما يُناسب الحقل المعرفي، ففي مجال تحليل الخطاب مثلاً تُكْمُن إحدى مهامه "في تصنيف الخطابات التي تُنتج في المجتمع"¹⁴، ويُترجم ذلك على أنّه نموذج للخطابات Typologie des discours، وفي الوقت نفسه يُترجم بـ (أنماطية الخطابات)¹⁵، أمّا دراسات أخرى فيبتعد أصحابها عن المصطلحات المتداولة، ويؤكّدون على وجود علم التصنيف الذي يقوم على "عملية تجميع النصوص على أسس مشتركة من صفات الشكل والتركيب والموضوع لتسهيل دراسة النصوص"¹⁶، ومعرفة صلات قرابة مُفْتَرَضَة الوجود بينها، وعليه تكون عملية التصنيف مبضعا من شأنه -إن استعمل على أسس علمية صلبة- أن يُكَنَّ من تحديد هوية النصّ قبل تقديمه للقرّاء العاديين، بل إنّ بعض تلك الدراسات ترفض مصطلحات مثل الجنس والنوع والنمذجة، فالقول بتجنيس النصّ قد يفهم منه منّح النصّ جنساً معيّناً، أمّا التصنيف -وهو الركيزة التي تقوم وتدعو إليها- فدلالته الأساس وضع النصّ ضمن مجموعة من النصوص التي يشترك معها في خصائص معيّنة شكلية أو مضمونية أو شكلية مضمونية معاً، أضف إلى ذلك أنّ التصنيف باستطاعته احتواء جميع الوحدات (جنس، جنس فرعي، نوع، نوع فرعي، نمط، نمط فرعي... إلخ)¹⁷

¹¹ ينظر : محمود غنام، العبر نوعية في الأدب العربي الحديث (سقوط العصمة والقداسة عن الفن القصصي)، مجلة الكرمل -أبحاث في اللغة والأدب، العدد : 24/23، 2003/2002، ص194.

¹² مجموعة المؤلفين، معجم السرديات، إشراف : محمد القاضي، دار محمد علي للنشر -تونس، ط1، 2010، ص130.

¹³ ينظر : مجموعة من المؤلفين، القصة الرواية المؤلف، مذكور، ص41.

¹⁴ دومونيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحيا، الدار العربية للعلوم -ناشرون بيروت ومنشورات الاختلاف الجزائر- الجزائر، ط1، 2008، ص133.

¹⁵ وردت الترجمة الأولى ضمن : مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب (مذكور)، ص133، أمّا الثانية فوردت ضمن : باتريك شارودو ودومينيك مانغونو وآخرون : معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحماي صمود، دار سيناترا للنشر والتوزيع -تونس، د. ط، 2008، ص574.

¹⁶ عبد الستار جبر الأسدي، حدود الأفق المفتوح (قراءة في خريطة تجاور الأصناف الأدبية)، مجلة علامات المغرب، العدد : 18، ص33.

¹⁷ ينظر : عبد الستار جبر الأسدي، حدود الأفق المفتوح (قراءة في خريطة تجاور الأصناف الأدبية)، ص40 (الهامش رقم 03).

ويذهب الحماس بأصحاب هذا الطرح مذهباً بعيداً فيدعون مثلاً إلى "إنشاء مؤسسة غير نقدية تُعنى بتصنيف النصوص الأدبية، ودراسة مكوّناتها التابعة لعلم التّصنيف الأدبي، ويُطلَق على القائم بأعمالها لقب مُصنّف وليس ناقداً..."¹⁸، غير أنّ الحماس والانتصار لقضايا الجنس/النوع، وبعبارة أدق لنظرية الأجناس/الأنواع الأدبية لا ينبغي أن يدفعنا إلى قبول مثل هذه الدعوة، فالمُصنّف لا يستطيع إلا أن يكون ناقداً، إذ لا مخرج أمام الناقد إلا معرفة الجنس التعبيري الأساس الذي ينتمي إليه النصّ المُشتمَل عليه، ولا مخرج كذلك أمام من يُسمّيه صاحب هذه الدعوة مُصنّفًا إلا أن يتسلّح بخبرة الناقد وحمولته المعرفية وترسنته المصطلحية لحظة محاولة تحديد المبدأ الفاعل (على حدّ تعبير تودوروف)، أو السمات الأساسية المشتركة التي تُمكّننا من القول أنّ هذا النصّ : قصيدة شعرية أو رواية أو قصّة قصيرة أو مسرحية ... إلخ.

ولأنّنا نسعى في هذا البحث إلى تقديم إحاطة سريعة بتصنيف النصّ الروائي، وبعد أن أشرنا باقتضاب إلى المفهوم العام للتصنيف، نعتقد أنّه لا بُدّ من الإشارة إلى بعض محطّات تاريخ التّصنيف مع التوسّع بعض الشيء في الحديث عن قضية تصنيف النصوص التي تُعتبر الرواية إطارها الأجناسي الأساس إلى أنواع مثل : الرواية التاريخية Roman historique ، رواية السيرة الذاتية Roman autobiographique ، رواية الخيال العلمي Roman de science fiction إلخ، ثمّ إلى الأنواع الفرعية بالإضافة إلى ضرورة تقديم المعايير والآليات المعتمدة في عملية التّصنيف، وهي آليات تختلف باختلاف الدارسين والمنطلقات التي تحرّك دراساتهم.

2. تصنيف النصّ الروائي .. عودة إلى قضية جنس/نوع :

إنّ أيّ دراسة تروم تصنيف النتاج الروائي يجب أن تنطلق من قناعة انتمائها إلى حقل بحثي يسميه النقاد حقل الأجناس الأدبية (الأنواع الأدبية)، أو بعبارة الأخرى نظرية الأجناس/الأنواع الأدبية، وتقوم دراسة كذلك على ضرورة فهم عميق لكلّ ما تعلق بالجنس الأدبي، فهذا الأخير - كما سيّضح بعد قليل - كان ولا يزال في صلب اهتمامات الدراسات النقدية حتى تلك التي رفضته.

تُترجم اللفظة Genre بالجنس كما تُترجم بالنوع وتُحيل "في أصولها اللاتينية على معنيي الأصل Genus والولادة"¹⁹، وسنلاحظ من خلال التعاريف التي سنوردها أنّ هذه الأخيرة تشترك في جمعها بين تعريف الجنس الأدبي وتعريف نظرية الأجناس الأدبية، فكلّ بحث في الجنس أو النوع الأدبي يقتضي ضبط حدوده ومجمل تماساته مع أجناس أخرى، كما يقتضي إعمال آليات معيّنة تمكّن من قراءته في حدوده وفي علائقه وهاهنا يتجلّى فعل التّصنيف.

استناداً إلى ما ذكر نستنتج أنّ "الجنس من أقدم المقولات في الفكر الأدبي، فقد لوحظ مبكراً امتلاك بعض الأنماط النصية أو الخطائية لبنية خاصة، وارتباطها بهذا الظرف أو ذاك من واقع الحياة واشتراطها على المتلقي موقعاً معيّناً"²⁰، وفي هذا

¹⁸ نفسه، ص نفسها.

¹⁹ مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، ص30، ويراجع أيضاً : رالف كوهن، التاريخ والنوع، ضمن : القصّة الروائية المؤلّف، ص25.

²⁰ ميشال كلوفينسكي، الأجناس الأدبية، ترجمة : ياسين ساوير المنصوري، مجلة نوافذ، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد 38، نوفمبر 2007، ص35.

تلميح بَيِّن إلى ما يمارسه التأطير الأجناسي -مثلا- على القارئ إذ يُوجَّهه إلى إقامة فعله القرائي على المتعارف عليه في الحياة الأدبية، ونقصه بالتأطير الأجناسي الوصف المصاحب للنصوص الأدبية (قصة، رواية، شعر، نصوص...) بغض النظر عن مصدره (المؤلف، الناشر...)، وسنعود إلى هذا في المحطات المقبلة من العمل.

يُعرَّف سعيد علوش الجنس/النوع بقوله: "يُشير النوع إلى طبقة خطاب، يتمُّ التعرفُ عليها بفضل مقاييس اجتماع- لغوية ... والنوع والجنس تنظيم عضوي لأشكال أدبية"²¹، ولعل تلك المقاييس هي التي ستؤدِّي لاحقا إلى تعدد أنماط التصنيف، وهذا ما يؤكده تودوروف في قوله: "إنَّ كلَّ نوع هو طريقة محدَّدة من بناء العمل كَّله والوصول به إلى الاكتمال"²² فاكتمال نوع/جنس معيَّن لا يمكن أن يتحقَّق إلَّا بصورة نسبية لأنَّ مقولة الجنس "مَرْنَةُ الحدود"²³، خاصة عندما يتعلق الأمر ببعض الأجناس الأدبية التي تستعصي على التصنيف، ولا أدلَّ على ذلك من حالة الرواية.

يقوم كلُّ بحث في قضايا الجنس الأدبي على علاقة وطيدة مع نظرية الأجناس الأدبية، فهي "المكان الذي يتحدَّد فيه مجال الأدب وتعريفه"²⁴ والذي من بين أبرز مكوّناته أنّه نسيج غير مُنته من النتاجات التي تمارس فيما بينها حوارية لا تنتهي، إنّ دوغلاس غلوفر Douglas Glover الذي يربط بين الجنس الأدبي ونظرية الأجناس الأدبية بقوله إنّ "الجنس الأدبي .. ضرب من النماذج"²⁵، إنّما يُقرُّ بأصالة البحث في تكوّن وتطوّر الأجناس الأدبية، كيف لا وتلك قضية أثيرة في تاريخ نظرية/نظريات الأدب انطلاقا من إسهامات أفلاطون وإلى أيامنا هذه.

وفي مقابل مصطلح جنس/نوع أدبي Genre Littéraire، يستخدم بعضهم مصطلح جنس/نوع الخطاب Genre de discours²⁶، للدلالة على دراسات حديثة تُعنى بتصنيف مختلف أنواع الخطاب الأدبي وغير الأدبي.

إنّ من المتعارف عليه تميّز الطرح الباختي في مجال الرواية، والملاحظة نفسها نُسجّلها هنا فباختين لحظة اشتغاله على قضايا ذات صلة بالجنس/النوع الأدبي يقترح مصطلحا لم تُلفّه في الدّراسات الأخرى وهذا المصطلح هو "الكرونوتوب Chronotope وهو نوع زمني مكاني، ويتضمّن طبقا من المظاهر المحدّدة الخاصة بالزمان والمكان في النوع الأدبي، ويرادف الكرونوتوب لدى باختين كلمة النوع الأدبي"²⁷، وقد اجترح باختين هذا المصطلح واستخدمه في معرض رصده لتطوّر الأنساق القصصية عبر مختلف تحولاتها التاريخية والفنية من العصر الإغريقي إلى العصر الحديث الذي حفلت الدراسات النقدية فيه

²¹ سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص223، ويُراجع التعريف نفسه -تقريبا في الجزء الأوّل منه- ضمن: محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم)، الشركة المصرية العالمية للنشر-مصر، ط3، 2003، ص37.

²² تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين المبدأ الحوار، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر -لبنان، ط2، 1996، ص157/158.

²³ إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين -تونس، د ط، 1986، ص125.

²⁴ جان ماري شيفر، ما الجنس الأدبي؟، ترجمة غسان السيد، اتحاد كتاب العرب -دمشق، د ط، دت، ص15.

²⁵ دوغلاس غلوفر، الرواية كقصيدة شعرية، ترجمة: الجيلالي الكدية، مراجعة: حميد حميداني، مجلّة دراسات سيميائية أدبية لسانية (سال)-المغرب، العدد: 05، خريف (شتاء1991) ص36.

²⁶ ينظر: لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص67، ويراجع: -باتريك شارودو ودومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، ص574، ودومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص67/66.

²⁷ تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين، المبدأ الحوار، ص159/158 و210، ويراجع أيضا -محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، ص09.

بالاشتغال والتطوير المستمر لنظرية الأنواع الأدبية، و"قد وجد في مصطلح الكرونوتوب وسيلة يجمع فيها بين عنصرين قصصيين هما : الكرونو (الزمان) والتوبو (المكان)"²⁸، ويُستنتج من طرح باختين أنّ كلّ نوع يتميّز بكرونوتوب خاص يتجلّى في بنيته الزمكانية.

إنّ تميّز كلّ نوع قصصي بكرونوتوب خاص يكمن في العلاقات "التقنية المجردة بين الفضاء والزمان لذلك فكلّ تغير يطرأ على أحد العنصرين ينجّر عنه تغير يطرأ على العنصر الآخر"²⁹، ألا تلاحظ معي أنّ قصص وروايات الخيال العلمي والحكايات الخرافية، والروايات التاريخية، وقصص المغامرات، والروايات البوليسية، والرواية الشطارية، وقصص الرعب والسير الشعبية... كلّها تقتضي استعمالا خاصا للعنصر الزمكاني، ففي روايات الخيال العلمي ولأنّ الزمن فيها مستقبلي غير واضح بالنسبة لأبناء الحاضر، فإنّه يتطلب بنية مكانية خاصة تميّز بأمور غير مألوفة لنا، والطرح نفسه يصطلح لوصف الكرونوتوب الخاص بالأنواع آنفة الذكر. ويقدم باختين أثناء تمييزه بين الجنس/النوع الأساس، والجنس/النوع الفرعي مصطلحا جديدا يطلقه على الأنواع الفرعية، وهو مصطلح المغاير Variante و"يدلّ هذا المصطلح على النوع المميّز داخل الجنس التعبيري الأساسي، ومن ذلك بالنسبة للرواية، مغايرات : رواية المشكلات، الرواية التاريخية، الرواية النفسية.. كلّ واحدة هي مغاير متفرّع عن الرواية - الجنس"³⁰، وهذا ما تطلق عليه دراسات أخرى مصطلح نوع فرعي...

أدت كثرة الدراسات المهتمة بالجنس/النوع الأدبي ومن خلاله بنظرية الأجناس/الأنواع الأدبية إلى اطمئنان البعض إلى كون "النوع الأدبي مؤسسة، كما أنّ الكنيسة أو الجامعة أو الدولة مؤسسة..."³¹ تحكّمها قوانين ثابتة ومعايير تصنيفية قارّة، ولكنّ ذلك أصبح لاغيا خاصة مع استمرار ظهور تيارات التجديد في الأدب والنقد، وانفتاح الحدود بين الأجناس التعبيرية، وبين ألوان المعرفة الإنسانية المختلفة، لأجل ذلك لم يكن غريبا أن يعلن مورييس بلانشو M.Blanchot، أنّ "الكتاب وحده هو ما يهّمنا، كأنّه يقف وحده بعيدا عن الأنواع وبمعزل عن العبارة الواصفة : نثر، شعر، رواية، شهادة... وذلك بطريقة يتأبى معها الكتاب عن التصنيف، ويتنكر للقوة التي تدفعه إلى تحديد مكانه وشكله..."³²، أي أنّ الكتاب أضحي أكثر تميّزا من الجنس الذي تحكّمه قواعد خارج-أدبية تنتمي إلى مجالات معرفية أخرى ووفق هذا الطرح "لم يعد الكتاب محكوما بالانتماء إلى جنس معيّن بقدر ما ينتمي إلى الأدب فحسب، كما لو أنّ هذا الأخير يمتلك وحده الأسرار والتراكيب"³³، ويُعزى هذا الأمر بالأساس إلى اختفاء الحدود بين الأجناس الأدبية التي تعرف الآن تداخلا فيما بينها جعل من الصعب تصنيفها تصنيفا نهائيا.

²⁸ مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص355.

²⁹ نفسه، ص ن.

³⁰ ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة : محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع -مصر، ط1، 1987، ص30.

³¹ رينيه ويلك وأوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة : محي الدين صبحي، مراجعة : حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر -لبنان، ط2،

1981، ص237.

³² تزفيتان تودوروف، الأنواع الأدبية، ضمن القصة الرواية المؤلف، ص44.

³³ مورييس بلانشو، اختفاء الأدب، ترجمة رشيد مرون، مجلة نوافذ، النادي الثقافي بجدّة-السعودية، العدد 22، ديسمبر 2002، ص104.

والحق أنّ رفض مقولة الجنس الأدبي والتنكّر لعملية التصنيف يُعدّ في حدّ ذاته استمراراً لهذه الأخيرة التي لم تتوقف يوماً، رغم الاختلاف الذي يسمّ الجهود التي تنتمي إلى نظرية الأجناس الأدبية وبعبارة أعم إلى نظرية الأدب، هذا الاختلاف الذي يُمكننا رده إلى أسباب كثيرة نذكر من بينها: ³⁴

- إنّ النص الأدبي متميّز ويكمّل تميّزه في انفتاح الدلالة فيه وفي تأثّره بسياق التواصل الذي يشترك فيه قَصْدُ المؤلف من جهة وفهم القارئ وممارساته التأويلية من جهة أخرى.
- اضطراب الهوية النصية في انتمائها إلى قديم متعارف على بعض أسسه -على الأقل- أو إلى جديد طارئ لم تُضبط القواعد التي يبني عليها.
- تعمّد بعض الكتاب الخروج عن دائرة المألوف وسعيهم إلى التميّز عن طريق كسر نمطية السائد.
- الجمع بين الأجناس في نص واحد أو بعبارة أخرى محاولة اصطناع جنس أو أجناس جامعة ميزتها الأساس تداخل الأجناس.

ولكن هذه الصعوبات وأخرى لم تحل دون وجود محاولات تصنيفية في الثقافتين العربية والغربية قديماً وحديثاً، ففي ثقافتنا العربية مثلاً نستطيع استحضار جهود كثيرة نذكر منها مثلاً في مجال الشعر جهد ابن قتيبة في **الشعر والشعراء**، وابن سلام الجهمي في **طبقات فحول الشعراء**، أمّا في الثقافة الغربية فيُعدّ "تصوّر الأجناس الأدبية عند أفلاطون ومن بعده أرسطو أقدم المحاولات التصنيفية، وأكثرها تأثيراً في الدراسات اللاحقة بمهما" ³⁵، فأفلاطون ورغم أنّه أقصى الشعراء من جمهوريته إلّا أنّه قدّم تصنيفاً للشعر اليوناني أساسه طرائق التلفظ أو بعبارة أخرى (مصدر الصوت)، فكان أن قسّم الشعر اليوناني إلى :

- السرد الخالص : ويؤدّيه الشاعر.
 - المحاكاة : وتقدّم بأصوات الشخصيات.
 - المشترك : ويتداخل فيه صوت الشاعر مع أصوات الشخصيات. ³⁶
- أمّا أرسطو صاحب كتاب **فن الشعر** فيوصف تصنيفه بأنّه "تراتيبي معياري يضارع ما قام عليه المجتمع اليوناني من تراتبية وتقسيم للناس إلى نبلاء وعبيد وشرفاء وأراذل" ³⁷ لأنّ أرسطو ومن خلال اعتباره الشعر محاكاة وأنّ المحاكاة تمثيل لأفعال الإنسان عن طريق الشعر، أكّد أنّ الإنسان إمّا أن يكون أحسن من الشخص العادي، وإمّا أن يكون مثله، وإمّا أن يكون أدنى منه، واستناداً إلى ذلك "خلص أرسطو إلى أنّ أجناس الشعر هي المأساة والملحمة، والملهاة والمحاكاة الساخرة" ³⁸. ولكنّه اهتمّ أكثر بالمأساة لأنّها فعل بطولي، وأشار إلى الملهاة، وأهمّل المحاكاة الساخرة.

³⁴ ينظر : مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، ص132.

³⁵ المرجع نفسه، ص130.

³⁶ ينظر : جبرار جينيت، مدخل لجامع النص، ترجمة : عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة -العراق، ودار توبقال -المغرب، د ط، 1985، ص16.

³⁷ مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، ص131.

³⁸ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لن نُفصّل القول في إسهامات أفلاطون وأرسطو ومن جاء بعدهما (نورثروب فراي، تودوروف ... إلخ) في تصنيف الأجناس الأدبية لأننا نروم التركيز على تصنيف النص الروائي دون غيره، لأنّه موضوع بحثنا الأساس، ولعلّ التساؤل الذي يفرض نفسه في هذه المحطة من البحث هو : ما هي آليات وطرائق تصنيف النص الروائي؟

3. تصنيف النص الروائي .. الآليات والطرائق :

إنّ كلّ الإسهامات المتعلقة بنظرية الرواية بالإضافة إلى ما جاء به تيار الرواية الجديدة وانعكاسات كلّ ما يطرأ على الرواية العربية على الرواية العربية يحيل إلى فكرة قارة فحواها تأكيد صعوبة وضع الرواية في خانة معيّنة، واستحالة وصفها أو تعريفها تعريفًا جامعا مانعا، لأنّه "وكما كانت تعريفات الرواية متنوّعة متضاربة متعدّدة المنطلقات والمقاييس، كانت التصنيفات كذلك ..."³⁹ وتتميّز تلك الإسهامات بكثرة الاختلافات في النظر إلى الرواية انطلاقا مع لوكاتش G.Lukàcs، مروراً بجولدمان L.Goldman، وباختين M.Bakhtine، بالإضافة إلى ما قال به آلان روب غرييه A.Robbe-Grillet، وبتالي ساروت Nathalie Sarraute، وميشال بيتور Michel Butor، وصولاً إلى تأثر الرواية العربية بكلّ ذلك.

هل يصحّ بعد الذي سبق أن نتساءل عن آليات وطرائق تصنيف الرواية ونحن نعلم أنّها "تقع في رافد كلّ الأنواع"⁴⁰ وأنّ ذلك يجعل من الصعب ضبط حدودها وانتماءاتها إلى حقول مجاورة لها، ومن أجل دقّة أكبر (انتماءات حقول مجاورة لها)، فالمعروف عن الرواية أنّها الجنس التعبيري الأكثر قدرة على استثمار منجزات مختلف الأشكال الأدبية والمعرفية، إنّنا نعتقد أنّ من الضروري -قبل الحديث عن آليات وطرائق التّصنيف- أن نعرف الجدوى من تصنيف الرواية إلى أنواع ثمّ إلى أنواع فرعية. لا جدوى قبل معرفة ذلك من التذكير بقدّم عملية التّصنيف، وبأنّ البشرية مارسته حتّى أضحت طبيعة فيها، ولكنّ الجدير بالذّكر هو أنّ تصنيف الرواية يقع في صميم اهتمامات النقد الروائي، إن لم يكن محرّكا أساسا له، ويُعزى ذلك -في اعتقادنا- إلى أمرين : أنّه من غير المنطقي أن يتعامل الناقد مع نص أدبي دون أن يضع اليد على حقله الأجناسي فلكلّ جنس أدبي آليات تحليل معيّنة، وأنّ النقد بوصفه طريقة لإنتاج المعرفة لا يستطيع مهما حاول التّنصّل من بُعد التعليمي، لأنّ إنتاج المعرفة يقتضي تقريبها بأكثر بساطة ممكنة إلى مستهلكيها، دون أن يُفهم من ذلك اعتقادنا أنّ النقد مخبر على التخلي عن كونه خطابا معرفيا يروم تأنيث فضائاته بما يُتيح له التأسيس لثقاه وزدهاره مقابل رقيّ وزدهاره حقول معرفية أخرى، إنّ "تصنيف الرواية إلى أجناس روائية فرعية [يُعدّ] إجراء منهجيا هدفه السعي إلى محاصرة التنوّع الكبير الذي تتّسم به الروايات، وضبط ضروب الاختلاف بينها بتقسيم النصوص مجموعات صغرى..."⁴¹، والمثير في ذلك أنّه لا وجود لمجموعات صغرى قارة، ويُردّ ذلك إلى اختلافات أشرنا إليها، وهي الاختلافات التي ينتج عنها أنواع كثيرة من التّصنيفات نذكر منها :⁴²

³⁹ نفسه، ص136.

⁴⁰ مجموعة من المؤلفين، الأدب والأنواع الأدبية، ترجمة : طاهر حجار، دار طلاس للنشر والتوزيع-دمشق، ط1، 1985، ص126.

⁴¹ مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف : محمد القاضي، ص136.

⁴² ينظر : فتيحة عبد الله، إشكالية تصنيف الأجناس الأدبية في النقد الأدبي، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج55، مجلد14،

ص354، ويراجع : مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص132.

- التّصنيف المضموني ويعتمد أساسا على الموضوع (المحتوى)
 - التّصنيف الهرمي و يتميّز بالانتقال من العام إلى الخاص..
 - التّصنيف الإحصائي وهدفه وضع قائمة تحدّد الأنواع الموجودة.
 - التّصنيف الانتقائي التحليلي وينهض على إجراء مقارنة بين الأنواع المتقاربة بُغية رصد أوجه التشابه والاختلاف بينها.
 - التّصنيف التأسيسي ويُعزى إلى كلّ من تودوروف وجيرار جينيت وأساسه مناقشة السائد من التّصنيفات سعيا إلى اقتراح تصنيف جديد.
 - التّصنيف من وجهة نظر التلقي.
- ونستطيع إضافة التّصنيف التركيبي، أي ذاك الذي يجمع نوعين أو أكثر في صنف أو اتجاه واحد كالقول مثلا بالرواية السيرة الذاتية، بالإضافة إلى التّصنيف الجغرافي أو الإقليمي، والتّصنيف الزماني أو التحقيقي.
- إنّ اختلاف طرائق النظر إلى الرواية والتعامل معها ورغم تَسبُّبه في كثرة التّصنيفات، لا يُعتبر نقيصة البتّة لأنّنا لو "سلكنا إلى جميع الروايات مدخلا واحدا، متوقّعين أن يكون الاهتمام منصبّا على أشياء محدّدة في كلّ مرّة، فلسوف نجد أنفسنا مستغرقين فيما لا طائل من ورائه"⁴³، لأنّ ذلك يتنافى وطبيعة الرواية التي تميل إلى إقامة علائق كثيرة مع الأجناس الأدبية الأخرى، وكذلك مع ألوان المعرفة الإنسانية مثل التاريخ.
- تختلف الأنواع الروائية والأنواع الروائية الفرعية باختلاف طرائق التّصنيف والمعايير المعتمدة ويمكن القول إنّ معوقات تصنيف الأجناس الأدبية هي نفسها معوقات تصنيف النص الروائي، ويمكن اختصارها في الآتي⁴⁴:
- الوفرة الكمية للنصوص الروائية.
 - تفرد بعض الأعمال وعدم قابليتها للتّصنيف وفق المتعارف عليه.
 - خرق الأدب المعاصر بصفة عامة للسائد وسعيه الحثيث إلى اجترار الجديد.
 - تعدّد المقاييس المتّبعة في التّصنيف واختلافها.
- ونُضيف إلى ما سبق استحالة إقامة نظرية أجناسية بمقاييس دقيقة لأنّ ذلك يتعارض وخصوصية الأدب.
- الأكيد أنّ الأنواع الروائية كثيرة ومتعددة تعدّد الدارسين وتعدّد منطلقاتهم والمعايير التي يعتمدون عليها والأهداف التي يرومون تحقيقها، ولتبيان ذلك سنعرض الآن جملة ما ذُكر من أنواع روائية في بعض المعاجم العربية لمصطلحات الأدب، لأنّ هذه الأخيرة إنّما تعتمد في جمع مادتها على ما يُذكر من مصطلحات وتعريفات في الدراسات النقدية مع الاستعانة بالترجمة عن معاجم غربية، والمعاجم التي سنستعملها في ذلك هي على التوالي (معجم السرديات) الذي أشرف عليه الناقد التونسي (محمد القاضي)، و(معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة) لسعيد علوش، ومعجم (المصطلحات الأدبية) لإبراهيم فتحي.

⁴³ روجر ب. هينكل، قراءة الرواية (مدخل إلى تقنيات التفسير)، ترجمة: صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، د ط، 2005، ص75.

⁴⁴ ينظر: فتيحة عبد الله، إشكالية تصنيف الأجناس الأدبية في النقد الأدبي، ص353 وص355.

يقدم أصحاب (معجم السرديات) لحظة حديثهم عن مصطلح (رواية) قائمة تضم عشرين نوعا روائيا نوره في الآتي: ⁴⁵ (لقد أضفنا أمام كل نوع فرعي المقياس المتبع في التصنيف أو نوع التصنيف وجعلنا ذلك بين قوسين كيما نفصل بينه وبين ما يصطلح على النوع الروائي).

- رواية استباق Roman d'anticipation، ويقصدون بها رواية الخيال العلمي (المضمون)
 - رواية أطروحة Roman à thèse (المضمون)
 - رواية بوليسية Roman policier (المضمون)
 - رواية تاريخية Roman historique (المضمون)
 - رواية تربوية Roman pédagogique (المضمون)
 - رواية ترسلية Roman épistolaire (تصنيف تركيبي)
 - رواية تعلم -رواية التربية-رواية التكوين- Roman d'apprentissage (المضمون)
 - رواية ذات أدراج Roman à tiroirs (المضمون الشكل)
 - رواية رعوية Roman pastoral (المضمون)
 - رواية سوداء Roman noir -فرع من رواية المغامرات، (المضمون)
 - رواية سير ذاتية Roman Autobiographique ويشترط فيها توفر ميثاق سير ذاتي، (تركيبي)
 - رواية سيرة Roman biographique /رواية شخصية R.personnel/تخيل ذاتي Autofiction لا اشتراط للميثاق السير ذاتي في هذا النوع. (تصنيف تركيبي/شكلي)
 - رواية شطار Roman Picaresque (مضمون - شكلي)
 - رواية عتيقة Roman Antique (زمان/تحقيقي)
 - رواية فلسفية Roman Philosophique (المضمون)
 - رواية قصيرة Novella (شكلي، كمي)
 - رواية مسلسل Roman Feuilleton (تصنيف أساسه الطريقة التي نُشر بها العمل)
 - رواية مغامرات Roman d'aventures يُعتبر السفر فيها قيمة قارة (مضموني/شكلي)
 - رواية نهر Roman Fleuve (كمي صرف)
 - رواية وثائقية Roman document (مضموني شكلي)
- نستنتج من خلال ذلك ما يلي :

معجم السرديات -مجموعة من المؤلفين- إشراف محمد القاضي						
عدد الرواية	المصنفة اعتمادا على كل	9أنواع	4أنواع	3	2	1

⁴⁵ ينظر : مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف : محمد القاضي، صص 229/207.

مقياس التصنيف	مقياس	مقياس	مقياس	مقياس	مقياس	مقياس
					معيّار	
				×	مضموني	
			×		مضموني شكلي	
		×			تركيبي	
	×				كمي	
×					زماني	
×					طريقة النشر	

أما معجم المصطلحات الأدبية لصاحبه سعيد علوش، فتضمّن أكثر من عشرة أنواع روائية هي :⁴⁶

- الرواية التاريخية (مضمون)، - رواية الخيال العلمي (مضمون) - الرواية التراسلية (تركيبي)، - الرواية السياسية (مضموني)،
- الرواية السيكلوجية / تيار الوعي (مضموني شكلي)، - الرواية العاطفية (مضموني)، - رواية الفنان / سير ذاتية (تركيبي)،
- رواية المغامرات (مضموني)، - الرواية المقنّعة / الرواية المفتاح (مضموني)، - رواية تكوّن البطل (مضموني)، - الرواية الأطروحة (مضموني)

ونلخص استنتاجاتنا في الجول الآتي :

سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة				
عدد الأنواع الروائية			مقياس التصنيف	
1	2	8		
		×	مضموني	
	×		تركيبي	
×			مضموني/شكلي	

في حين يذكر إبراهيم فتحي في (معجم المصطلحات الأدبية) الأنواع الروائية الآتية :⁴⁷

- الرواية التاريخية (مضموني). - رواية تكوين الشخصية (مضموني)، - رواية حياة الفنان (مضموني). - الرواية ذات المفتاح (لا يوضح صاحب المعجم مقياس التصنيف). - رواية ذات طابقي (كمي). - الرواية ذات المشكلة (مضموني). - الرواية الرخيصة (المضمون + السعر)، - الرواية (الدراما) السوسولوجية (مضموني)، - الرواية العصرية الجديدة (شكلي)، - رواية الغرب الأمريكي Western (مضموني/مكاني)، - رواية القصص (لم يذكر صاحب المعجم مقياس التصنيف)، - الرواية القصيرة (كمي/شكلي)، - الرواية النفسية (مضموني).

⁴⁶ ينظر : سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص ص 103/106.

⁴⁷ ينظر : إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ص ص 176/186.

وتتوزع في هذا المعجم مقاييس التّصنيف على الأنواع على هذا النحو :

إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية							
عدد الأنواع							مقاييس التّصنيف
1	1	1	1	2	1	6	
						×	
					×		
				×			
			×				
		×					
	×						
×							
							مضموني
							كمي
				×			غير واضح
			×				مضمون + سعر
		×					شكلي
	×						مضموني مكاني
×							شكلي/كمي

إنّ التّصنيف الأكثر استعمالاً في المعاجم الثلاثة هو التّصنيف المضموني، ثمّ يليه التّصنيف المضموني الشكليّ والتّصنيف التركيبي، والظاهر استناداً إلى ذلك أن تصنيف الروايات يتّم "من خلال تتبّعنا لمحتوى الرواية والطريقة التي نُسجت بها"⁴⁸ مع ضرورة تسجيل امتعاضنا الشديد من اعتماد سعر الرواية أو طريقة نشرها آلية من آليات التّصنيف لأنهما معطى غير ثابت.

قبل الانتقال إلى عرض أهمّ الإسهامات الغربية في التّصنيف الروائي سندكّر أكثر أنواع التّصنيف ذيوها وهي على التوالي :

- التّصنيف المضموني - التّصنيف المذهبي - التّصنيف الشكليّ - التّصنيف التركيبي، لأنّ التّصنيف الروائي عامة ينبغي أن "يسعى دون أن يتخلّى عن مبدأ البحث عن العنصر المهيمن في الصيغة والشكل والمضمون، إلى إبراز مظاهر التداخل والتقاطع بين النزعات الأجناسية في النص الروائي راصداً التخوم التي يحتضنها ذلك النص بين جنس فرعي وجنس آخر أو بين الرواية وأحد الأجناس الأدبية الأخرى"⁴⁹، لأنّ التّصنيف وفق هذا الطرح سيتجاوز الاستكناة إلى مقياس واحد، وسيوجد أنواعاً روائية أكثر قابلية للاتفاق النقدي عليها، أو على الأقلّ الاتفاق النسبي على بعضها، ومن بين أهمّ الأنواع التّصنيفية ما يلي:⁵⁰

- 1- التّصنيف المضموني : الأساس الذي يبنى عليه هذا النوع من التّصنيف هو مضمون النص الروائي، والأنواع الروائية التي تنتج عنه كثيرة نذكر مثلاً : الرواية العاطفية، والرواية التاريخية، والرواية التربوية...
- 2- التّصنيف المذهبي : يسعى هذا التّصنيف إلى تلمّس العناصر المميّزة لرواية ما، والتي تُترجم مقوّمات مدرسة أو مذهب أدبي بعينه، ومثال ذلك القول بالرواية الرومانسية..
- 3- التّصنيف التركيبي : وقوامه رصد تداخلات محتملة الوجود بحكم الطبيعة الحوارية -على حد تعبير باختين- المميّزة للرواية .

⁴⁸ روجر ب. هينكل، قراءة الرواية (مدخل إلى تقنيات التفسير)، ترجمة : صلاح رزق، ص76.

⁴⁹ مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص138.

⁵⁰ ينظر : ساندي سالم أبو يوسف، الرواية العربية وإشكالية التّصنيف، دار الشروق للنشر والتوزيع -عمان الأردن، ط1، 2008، ص48 وص49.

4- _النقد الجزائري وتصنيف النص الروائي الجزائري (نموذج تطبيقي) :

ليس فتحنا نقديا القول إنّ الدّراسة الّتي قدّمها محمد مصاييف والموسومة بـ (الرّواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقع والالتزام)، الصادرة عن الدار العربية للكتاب بليبيا والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائرية 1983، تُعدّ الإسهام النقدي الجزائري الأوّل في حقل تصنيف الرّواية الجزائرية.

يقع الكتاب في ثلاثمائة وخمسة عشر صفحة ويتضمّن بالإضافة إلى المقدمة والتمهيد والخاتمة، خمسة فصول، خصّص كلّ واحد منها لاتّجاه روائي، وقد اشتغل مصاييف في هذا الكتاب على تسع روايات هي : (ريح الجنوب) و(نهاية الأمس) لعبد الحميد بن هدوقة، و(اللاز) و(الزلزال) للطاهر وطار، و(ما لا تذروه الرياح) و(الطموح) لمحمد عرعار العالي، و(نار ونور) لعبد الملك مرتاض، و(الشمس تشرق على الجميع) لإسماعيل غموقات، و(طور في الظهيرة) لمزراق بقطاش، ويُصنّف مصاييف هذه الروايات ضمن الاتّجاهات الآتية :

- الرّواية الإيديولوجية : صنّف ضمن هذا الاتّجاه كلّ من روايتي (اللاز) و(الزلزال) للطاهر وطار.
- الرّواية الهادفة : وحلّل من خلالها هذا الاتّجاه روايات : (نهاية الأمس) لعبد الحميد ابن هدوقة، و(نار ونور) لعبد الملك مرتاض، و(الشمس تُشرق على الجميع) لإسماعيل غموقات.
- الرّواية الواقعية : درس هاهنا رواية (ريح الجنوب) لعبد الحميد ابن هدوقة و(طيور في الظهيرة) لمزراق بقطاش.
- رواية التأمّلات الفلسفية : غُني في هذا الاتّجاه برواية واحدة هي (الطموح) لمحمد عرعار العالي.
- رواية الشخصية : وقد خصّص هذه المخطّطة لدراسة رواية (مالا تذروه الرياح) لمحمد عرعار العالي، ويعترف محمد مصاييف قبل كلّ هذا أنّ الروايات قابلة للتصنيف في اتّجاهين أو -على حدّ تعبيره- في موقفين "موقف الواقعية الاشتراكية الّذي يُمثّله الطاهر وطار، وموقف الواقعية النقدية الّذي يمثّله معظم الكتاب الآخرين"⁵¹ ويصّالح هذا الطرح إلى حدّ كبير على جُلّ نتاجات تلك المرحلة.

يعتمد مصاييف في عمله التّصنيفي موقف المؤلف ومضمون العمل مطيّة يبرّر من خلالها ما يذهب إليه، فهو عندما صنّف روايات وطار ضمن الرّواية الإيديولوجية وأكّد انتماء أعماله الإبداعية إلى تيار الواقعية الاشتراكية مثلا اتخذ من كلمة المؤلف الّتي صدّرها روايته (اللاز) معيارا أجاز له ما فعل، والأمر نفسه يقال عن الكلمة الّتي صدّرها وطار روايته (الزلزال) حيث يقول : "وأختم كلمتي هذه، المضطربة، لأنّها مرتجلة، بالقول إنّ الأدب الاشتراكي، والبطل الاشتراكي لم يولدا في الجزائر ... إلّا في الأدب المكتوب باللغة العربية، وإنّني كواحد من كتاب اللغة بالعربية أفتخر بهذا وأعتزُّ به"⁵².

إنّ المحاولة التّصنيفية الّتي قدّمها مصاييف ورغم صدورها في فترة لم يحقّق فيها النصّ الروائي الجزائري المكتوب بالعربية تراكما كميا معتبرا، إلّا أنّها تُعتبر بحق باكورة العمل التّصنيفي في النقد الروائي في الجزائر، حيث كان من الضروري ظهور دراسات

⁵¹ محمد مصاييف، الرّواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب-تونس والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1983،

ص11.

⁵² الطاهر وطار، الزلزال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -الجزائر، دط، 1980، ص06.

تصنيفية أخرى تُكَمِّل الأولى على الأقل من ناحية الاشتغال على نصوص أغفلها مصاييف من جهة
تكن قد صدرت بعد عندما أصدر كتابه (الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام).

استنادا إلى ذلك تكون الدراسة الموسومة بـ (اتجاهات الرواية العربية في الجزائر- بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية
الجزائرية) الصادرة سنة 1986، أول عمل نقدي أكاديمي جزائري يُعنى بتصنيف النص الروائي الجزائري المكتوب بالعربية، لأنَّ
صاحبها تقدّم بها لنيل درجة الماجستير بجامعة دمشق.

تتميّز محاولة واسيني الأعرج التّصنيفية باشتغالها على أكثر من عشرين نصا روائيا، كما تتميّز باهتمامها بما يسمّى
نصوص البدايات في تاريخ الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، نقصد النصوص التي صدرت قبل رواية (ريح الجنوب)، بالإضافة إلى
تقديم واسيني اتجاهات مغايرة لتلك التي صنّف مصاييف الرواية ضمنها رغم وجود تقاطع بين إسهام كلّ منهما خاصة لحظة
تصنيف أعمال وطار ضمن اتجاه : رواية الواقعة الاشتراكية.

ونستطيع القول إنّ عمل واسيني اعتمد الانتماء المذهبي لكلّ نص روائي كما اعتمد المضمون والتّوجه الذي ينتمي إليه
المبدع ويتجلى ذلك من خلال الاتجاهات الأربعة التي صنّف النصوص المختارة ضمنها وهي :

- الاتجاه الإصلاحي : ويضمّ الروايات الآتية : (غادة أم القرى) الصادرة سنة 1947 لأحمد رضا حوحو، ورواية (الطالب
المنكوب) لعبد المجيد الشافعي وقد صدرت سنة 1951، ورواية (صوت الغرام) لمحمد المنيع الصادرة سنة 1967، ورواية (نار
ونور) لعبد الملك مرتاض الصادر سنة 1975، ثمّ رواية (حورية) لعبد العزيز عبد المجيد وقد صدرت هذه الأخيرة سنة 1976.

معظم النصوص المصنّفة ضمن الاتجاه الإصلاحي تعود لفترة البدايات، خاصة فترة قبل وأثناء خمسينيات القرن الماضي
وواضح أنّ ما كُتِب خلال تلك المرحلة "ينتمي في معظمه إلى الفكر الإصلاحي الذي رعته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"⁵³،
والحديث عن الإطار العام الذي ينتمي إليه إبداع الكاتب شكّل بالإضافة إلى مضمون الروايات معيارا للتصنيف.

- الاتجاه الرومنتيكي : عدد الروايات التي أدرجها الأعرج ضمن هذا الاتجاه ستّ روايات هي : (ما لا تذروه الرياح) لمحمد
عرعار العالي، وهي الرواية التي صنّفها مصاييف ضمن اتجاه سَمّاه رواية الشخصية، ورواية (نهایة الأمس) لابن هدوقة وقد صنّفها
مصاييف ضمن اتجاه الرواية الهادفة، ورواية (دماء ودموع) لعبد الملك مرتاض (1975)، و(الشمس تشرق على الجميع)
1978 و(الأجساد المحنومة) 1979 لاسماعيل غموقات و(حب أم شرف) 1978 للشريف شناتلية.

- الاتجاه الواقعي النقدي : اشتغل من خلاله على روايات (الحريق) لنور الدين بوجدرّة، الصادرة سنة 1957، ورواية
(ريح الجنوب) 1970 لعبد الحميد بن هدوقة، و(طيور في الظهيرة) 1978 لمحمد بقطاش، ورواية (على الدّرب) لحاجي محمد
الصادق وقد صدرت سنة 1977، ورواية (الطموح) 1978 لمحمد عرعار العالي، هذه الرواية التي أفرد لها مصاييف اتجاه سماه
(رواية التأمّلات الفلسفية)، وقد درس واسيني كذلك ضمن هذا الاتجاه (الواقعي النقدي) رواية (قبل الزلزال) 1979 لعلاوة
بوجادي.

⁵³ محمد خان، الأدب الإصلاحي في الجزائر، علامات في النقد، النادي الثقافي بجدة، العدد 49، 2003، ص390.

- أمّا الاتجاه الأخير وهو الاتجاه الواقعي الاشتراكي فقد خصّص لبعض روايات الطاهر وطار وهي : (اللاز) 1972، و(الزلال) 1972، و(العشق والموت في الزمن الحراشي) 1979، و(عرس بغل) 1978، و(الحوّات والقصر) 1980.

يعتمد واسيني الأعرج في تصنيفه روايات وطار ضمن هذا الاتجاه الموقف الفكري للمبدع وهو نفس صنيع مصاييف مع نتاجات وطار، ويعتمد واسيني كذلك طبيعة الشخصيات الرئيسة وعلى طبيعة المادة الروائية عموماً لأنّه ينطلق من مسلّمة أنّ "المادة الروائية في معظم روايات وقصص وطار هي البطل الرئيس، وهي أوّلاً وأخيراً المؤهلة للتعبير عن همّ الجماهيري بكلّ شمولية وصدق"⁵⁴ وبالطبع لا يجد قارئ روايات وطار صعوبة في استنتاج ذلك.

لقد أصدر واسيني الأعرج بعد كتابه (اتجاهات الرواية العربية في الجزائر) دراسة تصنيفية أخرى غني فيها باتجاه واحد هو (الرواية الواقعية) لدى الطاهر وطار وقد صدر هذا الكتاب سنة 1989 وعنوانه (الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية .. الرواية نموذجاً)، ونستطيع التأكيد في حدود ما حصلنا عليه من معلومات أنّه لا وجود لدراسة نقدية جزائرية منشورة اعتنى فيها صاحبها بأكثر من اتجاه روائي بعد كتابي مصاييف وواسيني الأعرج*، باستثناء بعض الدراسات التي كانت تُخصّص كلّها أو بعضها لرصد اتجاه بعينه ومن ذلك صنيع مخلوف عامر الذي أبدى اهتماماً كبيراً بالأدب الجزائري، حيث خصّص كتاباً لرواية توظيف التراث عنوانه (توظيف التراث في الرواية الجزائرية) وقد صدر سنة 2005، وكتاب (المتخيّل والسلطة .. في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية) الصادر سنة 2000 لصاحبه علال سنقوقة، الذي اشتغل فيه على الرواية السياسية الجزائرية، وفي ذلك يقول : "إنّا عند ما نطلّع على الرواية الجزائرية السياسية في تطوّرها التاريخي نشعر بحركة التاريخ الوطني السياسي يتحرّك فيها، إذ أنّها تأخذ بُعداً المضموني من تطورات التاريخ الوطني"⁵⁵ والأكد أنّ ما يُسميه (الرواية السياسية) تتوفّر بعض دلائله في جلّ النصوص التي حلّلها مصاييف وواسيني وهي نفسها الرواية التي أطلق عليها مخلوف عامر وعدد كبير من النقاد الجزائريين مسمّى (رواية الثورة) أو (رواية استحضار التاريخ الوطني).

عرف النقد الروائي الجزائري سنة 2005 صدور دراسة تصنيفية قصيرة، هي عبارة عن مقال عنوانه (إشكالية تجنيس الرواية الجزائرية التسعينية) لصاحبه جعفر يايوش، وهذه الدراسة القصيرة تعدّ الدراسة المنشورة الوحيدة التي تُعلن عن نفسها محاولة تصنيفية للرواية الجزائرية التسعينية، تضاف إلى إسهامي مصاييف وواسيني.

ولكنّ هذه الدراسة تحمل اختلالات كثيرة، وهذا ليس حكماً جائراً نُصدّره، وإنّما نتيجة تجلّت بعد الاطلاع على مضمون الدراسة التي تقع في أقل من عشرين صفحة، صنف خلالها نماذج روائية كثيرة (حوالي عشرين نصاً) وقدم صاحب الدراسة رأيه في انتمائها دون استناد إلى معيار غير مضمونها، ويقول في ذلك "وسنصنّف أوّلاً الرواية الجزائرية لفترة التسعينات من خلال

⁵⁴ واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، د ط، 1986، ص 556.

* تبلورت هذه القناعة لدينا منذ مرحلة التدرج عندما قدمنا رسالة عنوانها (الرواية في الخطاب النقدي الجزائري) لنيل شهادة الليسانس (جامعة سعيدة 2006)، ويذهب الناقد التونسي بوشوشة بن جمعة المذهب نفسه في كتابه : النقد الروائي في المغرب العربي إشكالية المفاهيم وأجناسية الرواية، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، ط 1، 2012، ص 196/198.

⁵⁵ علال سنقوقة، المتخيّل والسلطة .. في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف - الجزائر، ط 1، 2000، ص 290.

موضوعها⁵⁶ ثمّ يقدم جدولاً يُصنّف فيه حوالي عشرين نصاً روائياً، غير أنّه كما يلاحظ القارئ يصنّف العمل الواحد أحياناً ضمن أكثر من اتجاه، ويقترح بعض التصنيفات غير المنطقية كقوله مثلاً إنّ رواية (ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي رواية إباحية، ووصفه الرواية الجزائرية في مرحلة السبعينات بأنّها رواية سياسية تارة وبأنّها رواية ثورية⁵⁷ تارة أخرى، ثمّ يصف بعض الروايات الجزائرية التي صدرت في ثمانينات القرن الماضي (خاصة تلك التي عارضت الخطاب الرسمي السائد) بأنّها رواية المعارضة⁵⁸، ويستخدم كذلك للدلالة عليها مصطلح الرواية الواقعية، بينما يصف الروايات الصادرة في تسعينات القرن الماضي بأنّها رواية تسعينية في البداية ثمّ يقول عنها إنّها رواية ما بعد حداثة⁵⁹.

ويعود الباحث إلى روايات أحلام التي قال إنّها روايات إباحية ليصفها بالرواية الانسيابية⁶⁰، كما أنّه يصنّف رواية (متاهات الدوائر المغلقة) للروائي حبيب موسى ضمن اتجاه الرواية الفكرية وسنرى أنّه قال إنّها رواية واقعية في الجدول الآتي⁶¹ الذي سنورده حرفياً لتبيان تصنيفه للرواية الواحدة ضمن أكثر من اتجاه :

المؤلف	عنوان الرواية	الموضوع المحوري	تصنيف الرواية
إبراهيم سعدي	النخر	جدلية العلاقة بين الرجل والمرأة	الرواية الواقعية، الاجتماعية الإباحية
أحلام مستغانمي	ذاكرة الجسد	الجنس، الدين والسياسة	الرواية السياسية والإباحية
أحلام مستغانمي	فوضى الحواس	الجنس، الدين، السياسة	الرواية السياسية، الإباحية اللامعقول
الأزهر عطية	خط الاستواء	المدينة	الرواية السريالية
بقطاش مرزاق	خويا دحمان	الذاكرة الشعبية بين التراث والحداثة	الرواية الاجتماعية والتاريخية
بن قينة عمر	مأوى جان دولان	المهجر الاغتراب، صراع القيم ومسألة الهوية	الرواية الواقعية والإيديولوجية
جلالوجي عز الدين	سرادق الحلم والفجيعة	المدينة وصور الموت والإرهاب	رواية اللامعقول، السريال والرمز
حفناوي زاغر	ضياح في البحر	صراع القيم	الرواية الإيديولوجية
احميدة عياشي	متاهات ليل الفتنة	الجنس، الموت، والإرهاب	رواية اللامعقول والوجودية
خدوسي رابع	الغرباء	الآفات الاجتماعية والإرهاب	الرواية الواقعية والاجتماعية
رشيد بوجدرّة	تيميون	الإرهاب	رواية اللامعقول والوجودية

⁵⁶ جعفر يايوش، إشكالية تجنيس الرواية الجزائرية التسعينية، ضمن : مجموعة من المؤلفين : أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر، دار الأديب للنشر والتوزيع، دط، 2005، ص10.

⁵⁷ ينظر : جعفر يايوش، إشكالية تجنيس الرواية الجزائرية التسعينية، ص 09.

⁵⁸ ينظر : نفسه، ص9.

⁵⁹ ينظر : نفسه، ص18.

⁶⁰ ينظر : نفسه، ص18.

⁶¹ نفسه، ص12، 11.

قرطبي خليفة	تماسيح المدن المنسية	المدينة وذكريات الثورة	الرّواية الواقعية
مفتي بشير	أرخبيل الذباب	الجنس الموت	رواية اللامعقول
مفتي بشير	شاهد العتمة	الجنس والموت	رواية اللامعقول
مونسي الحبيب	متاهات الدوائر المغلقة	المرأة والمجتمع، الجنس والموت بين الريف والمدينة	الرّواية الواقعية
واسني الأعرج	الليلة السابعة بعد الألف	الحياة والموت، التاريخ والهوية	الرّواية الرمزية، والسريالية والتاريخية
واسني الأعرج	حارسه الظلال	التاريخ والهوية، الجنس والسياسة الحياة والموت	الرّواية التاريخية، السريالية والرمزية
وطار الطاهر	الشمعة والدهاليز	الإرهاب في التسعينات وصراع الهوية	الرمزية والوجودية
وطار الطاهر	الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي	الإرهاب في التسعينات، الهوية والتاريخ	الرمزية، السريالية والوجودية